الفاشية واليمينية (التي تجد مجالا حرا هنا بعد ان اصبحت اللاسامية عارا) ، كل هذا يديم الشعور العنصري ضد الجزائريين (ومن خلالهم ضد العرب بشكل عام) ويجعله من أهم الامراض الاجتماعية والاخلاقية التي يعاني منها المجتمع الفرنسي .

فلا غرابة اذا بأن تظهر التيارات المحافظة واليمينية أبان عدوان حزيران ١٩٦٧ ، حماسها الجنوني في تأييد اسرائيل التي بدت لها « كأمير الانتقام » الذي اقتص من العرب لما ارتكبوه ضد الامبراطورية الفرنسية . ولا غرابة بان يرفع معظم اللاساميين اصواتهم تضامنا مع « قلعة الغرب » في الشرق الاوسط : فقد ظهرت كراهيتهم للعرب اقوى من كراهيتهم لليهود (رغم ما ذاقه هؤلاء على ايديهم اثناء الاحتلال النازي) .

تطور المواقف بعد حرب ١٩٦٧

بعد استعراض العناصر الرئيسية التي تتحكم في مواقف الفرنسي تجاه المسألة الفلسطينية ، نأتي الى الاستفتاءات التي أجرتها المؤسسات الفرنسية سيما بعد عدوان ١٩٦٧ . ومن الضروري ان نؤكد هنا على ان هذه الاستفتاءات لا تعدو كونها اداة سهلة لابراز الصورة الشاملة ، ولا تشكل باي حال من الاحوال احصائيات علمية دقيقة وكاملة. فبالاضافة الى صعوبة اختيار عينة ممثلة فعلا للمجموع، هناك صعوبات اخرى تقف حائلا دون دقة الاحصاء (ونكتفي هنا بالاشارة الى طريقة طرح السؤال ، الذي يؤثر كثيرا على نوعية الجواب). وان كنا سنرى ، خلال استعراضنا للاستفتاءات الحديثة ، اهمية صيغة الاستجواب ، الا اننا نستطيع ان نؤكد — من خلال دراسة الاستفتاءات المتعلقة بالوضع الداخلي الفرنسي — جدية اختيار العينة وتمثيلها للشعب الفرنسي ككل ، نظرا لتطور علمي الاحصاء والاجتماع.

سنبدأ بسلسلة استفتاءات اجرتها المؤسسة الفرنسية للراي العام ما بين حزيران ١٩٦٧ وكانون الثاني ١٩٧٠ ونشرتها مجلة باري ماتش الصادرة بتاريخ ١٩٧٠/١/٢٤ . الاستفتاء الاول جرى ابان الحرب والاخير بعد الازمة التي نشبت من جراء تسلم البوارج الحربية الفرنسية الصنع لاسرائيل ، بينما اجري الثاني في نهاية صيف ١٩٦٧ والثالث بعد ضربة مطار بيروت وقرار حظر شحن الاسلحة الذي اتخذه ديجول .

والسؤال كان بالتحديد : في الصراع الحالي بين اسرائيل والدول العربية، الى اين تتجه عواطفك، الى اسرائيل ، الى الدول العربية ، لا لاحد من الطرفين ؟ وكانت النسب المئوية للاجابات كالتالي:

	حزيران ١٩٦٧	ايلول ١٩٦٧	كانون٢ ١٩٦٩	كانون ٢ ١٩٧٠
الى اسرائيل	٥٦	٦٨	٣٥	٣٣
الى الدول العربية	٢	٦	٧	٦
لا لاحد من الطرفين	٢٨	١٦	٣٩	٤٣
بدون رأي	١٤	١٠	١٩	١٨
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

وقبل ان نحاول استخلاص الدروس من هذه الارقام ، لا بد من الاشارة الى اللبس الذي ينشأ من اسلوب طرح السؤال : فمقابل اسرائيل لا ذكر مثلا للشعب الفلسطيني ولا لدولة عربية محددة ، وانما للدول العربية ككل ، وفي ذهن الفرنسي تمر صور دول مختلفة التطور ومتفاوتة التمثيل الشعبي والنضالي ، فالعطف الذي قد يكنه لدولة ما او لمجموعة دول يبطله مثلا نفوره من دولة او دول اخرى ، هذا اذا لم نتكلم عن المقاومة الفلسطينية التي تثير في مخيلة الكثير من الفرنسيين ذكريات مقاومتهم للنازية منذ ربع قرن . ولا شك ان ذلك يفسر ضآلة نسبة المتعاطفين مع « الدول العربية» والتطور البسيط لهذه النسبة خلال الاعوام الثلاثة الماضية ، في نفس الوقت الذي فقدت فيه اسرائيل عطف ثلث الشعب الفرنسي . (من ٦٨ بالمئة في ايلول ١٩٦٧ الى ٣٣ بالمئة في كانون الثاني ١٩٧٠) . وان عنى هذا الاستفتاء شيئا فهو يعني على الاقل ان تطور الاحداث خلال الاعوام الاخيرة (وسيما بروز الشخصية النضالية الفلسطينية) استطاع في اسوأ الاحتمالات ان يحيد اكثر من ثلثي الرأي العام الفرنسي .

وفي الواقع ، اكتسبت الثورة الفلسطينية بالذات عطفا واسعا ، سيما في اوساط الجيل الناشيء . وفي اي حال ، فالمجال ما زال مفتوحا لكسب العناصر المحايدة حاليا ، طالما نجحت التطورات الاخيرة في احداث الخطوة الاهم ، وهي كسر طوق الدعاية الصهيونية والتزوير الاسرائيلي للتاريخ . وفي استفتاء اخر أجرته الشركة الفرنسية